

توتو بنجي

**TUTTO BENE**

مجموعة قصصية

\*\*\*

محمد فوزي عفيفي

٢٠٢٢م



ماستر

توتوبني  
مجموعة قصصية  
محمد فوزي عفيفي

الجمع والإخراج  
التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع/ ١٠٧٧٠/٢٠٢٢ م

ISBN: 978-977-6884-08-3

13,5×19.5 CM

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر



ماستر ©

٢٠٢٢ م

Email: master.publisher@hotmail.com  
Facebook: facebook.com/Master.PH  
Smashwords: smashwords.com/master.ph  
Tel & Whatsapp/ 002 0128 730 3637

تبدو المقاومة عبثية...

لكني لن أسقط اليوم!

محمد فوزي



## إهداء

إلى تامر محيي الدين  
صديق الأيام والليالي  
من احتمل حكاياتي  
وتُرَّهاتي  
ومارستُ عليه  
جنوني  
ربما  
إرهاصًا بما هو  
أنت...



## انفلات



أيقظني من غفوتي مرعوبًا الإنذار الذي استفزه  
الكلب ابن الكلب الذي أراد أن يجعل من «الكابوت»  
مخدعًا له. كنتُ مكوّمًا على الكرسي الخيزران القديم  
في البلكونة وقد تخدر جسدي تمامًا ملتحفًا بطانية  
رمادية متذكّرًا أيامي في الخدمة العسكرية. أيام  
الجيش، كنتُ في «السّلوم» أحرُس حدود الوطن، الآن  
أقضي خدمتي الليلية أحرص عربتي المتواضعة التي  
تنام في الشارع ملء فوانيسها وأنا أسهر على أمنها!

منذ الثورة والبلد تعاني طفح لصوصي... أكزيما  
إجرامية. ففي كل يوم كوكتيل حوادث؛ قتل، خطف  
أطفال، اغتصاب، «تثبيت». كل الأطباق متاحة في  
قائمة العنف.

إن أكثر كلمة تتردد الآن هي «تثبيت»، كانت هذه  
الكلمة في العادة تتعلق بالثبات على الإيمان وتُسمع  
خاصّةً عند القبر حيث يسألون التثبيت للمتوفى.

وكنْتُ لا أفهم لماذا يطلقون عليه هكذا مصطلح في قاموس الإجرام لكن خمنت أنه عندما تكون سيء الحظ وتصادف أحدا من الأفاقين فإن أول ما ينطق به «اثبت» فتصبح ملتصقا بالأرض بغراء الخوف. وبالطبع هذا المجرم لا يدعو للضحية سيء الحظ بقوة الإيمان، فعجبا لهذا الزمان.

إلا أنه كلما جاء أحد على ذكر سرقة سيارة كانت أمعائي تضطرب، كلما كانت تتردد كلمة انفلات كانت تتبعها كلمة «خُلقي»، الآن في هذه الأيام تتلوها كلمة «أمي» وهنا كان يحدث لي انفلات عصبي!

كان زملائي في الشغل يضحكون عندما يلاحظوا تغير وجهي ويقولون إن سيارتي لن تجذب العيون لأن طرازها قديم، ولكني مقتنع بأن كل «فولة ولها كيال»، ولن تعدم لصًا يضع عينه عليها.

كانوا يتناقلون الأخبار المثيرة للأعصاب، عن مشوار انتهى بجريمة على الطريق الدائري أو طريق الواحات - بل وفي وضح النهار وفي قلب المحروسة - أو بالأصح المرعوبة - ذاتها، لقد أصبحت تلك المشاوير مغامرات محفوفة بالمخاطر، يتحدثون عن فدية للسيارة وعن أصحاب سيارات دفعوا وخذعوا. ثم تأخذ الجدية

طريقها لأحاديثهم فيقترحوا أن أحمل صاعق كهربائي بل عرض أحدهم أن يساعدني في الحصول على «طبنجة حلوان».. بدأت أفكر في الموضوع لكنني أعرف نفسي جيداً. أنا لا أريد أن أضرب ولا أن أُضرب! كما أن الذي يحمل سلاح - حتى للتهويش - لابد أن يكون «قده» وأنا أولاً وأخيراً لست «إبراهيم الأبيض»!

بدأ أصحابي يحذرونني حتى من سلسلة المفاتيح التي بها ميدالية هي ماركة سيارة، إذ أنها سوف تجذب الكلاب «اللي بيشمشموا على عضمه»... وجهة نظر جديدة بالأخذ في الاعتبار!

جبرتي المصلحة لا يفوت الفرصة ويديلي بدلوه في المسألة ويخبرني أنه في زمن الشدة المستنصرية ذهب وزير الخليفة بذات نفسه ليحقق في حادثة ولما رجع وجد بغلته هيكلًا عظيمًا إذ التهمها الجياع!

طب وأنا مالي يا جبرتي؟ يضحك ويقول يعني مستغربش لو يوم رجعت ولقيت مكان عربيتك «الزردة» دي أربع صواميل أو بالكثير شكمان. بهم بالاكمال؛ ثم لما استحكمت الشدة فإن الناس قد أكلوا... يخرب بيتك يا جبرتي... هي ناقصاك... متكملش!

ولمَّا زادت وطأة الانفلات أصبحت أتجنب الخروج بالعربة إلا للظروف الطارئة كما أني ركبْتُ جهاز إنذار وأوصيتُ الجيران أن ينتهوا جيدًا وأن يأخذوا بالهم منها، من ساعتها وأنا أسهر في نوبة في البلكونة ولو كان عليَّ كنتُ حملتُ السيارة معي إلى الشقة! لقد أصبحتُ أتشكك في كل من ينظر إليها أو يمر بجانبها أنه يريد بها شرًا.. أه لو أمتلك تعويذة سحرية أتمتم بها عليها فتتحول إلى حجم لعبة أطفال فتبات في درج «الكومودينو» وفي الصباح بتعويذة عكسية تعود لسيرتها الأولى.

إلا أن مخاوفي قد تنامت بعدما عرفتُ أن عم «محمد» - سايس السيارات أمام مقر عملي - قد هوجم ليلاً وأنه في العناية المركزة بعدما ضبط شخصين يحاولان سرقة سيارة، فما كان منهما إلا أن طعنوه بمطواة وولوا وهو غارق في الدماء.

لقد أصبحتُ أحسد الناس التي لا تمتلك سيارات وأنا الذي كنتُ بالأمس القريب أحسد مالكيها، لقد انقلب الوضع؛ طوبى للأغنياء إذن! طوبى لراكبي ذوات النجمة المثلثة ابتداءً بالفئة «ايه» حتى «سي» وما شاكلهم!

ثم تفتق ذهني عن فكرة تأجير محل استخدامه جراج  
ولكن بعد التقصي اكتشفت أنه يلزم له ميزانية وأن  
كل المحلات الشاغرة القريبة قد تم تأجيرها بالفعل.  
إنه مآزق جديد.

قررتُ أن أنام في العربة.. وأنا نازل بالبطانية أصابني  
الرعب من قطة سوداء قفزت من صفيحة زباله تفوح  
منها زفارة سمك تعبق السلم كله، جلست على السلالم  
المدغدغة وفكرت «طيب يا حلو هتعمل إيه لو طلعا  
عليك؟ هتكذب على نفسك»؛ إن فرص نجاتي وخاصة  
مع هذه الساق المعطوبة تماثل فرصة أن تجد هذه  
البائسة سمكة في هذه الصفيحة!

ومثل الجذام الذي يأكل أطراف الجسد فإن  
شعوري بالأمان كانت تتأكل منه قطعة كل يوم.  
ولكني لن أترك حبيبتي للذئاب ينهشونها.

«طوبه» للمجرمين!

ولما رأني مهمومًا، جاء «عبده» زميلي بحل عبقرى،  
إذ أنه اقترح أن نضعها في قريته في «شبرا النملة» وهي  
ليست بعيدة كثيرًا من القاهرة.. وفعلاً ذهبنا إلى بيت  
ابن عم «عبده»، بيت فلاحى من النادر أن يوجد في  
هذه الأيام، وأهم مميزاته تلك «الزريبة» الواسعة.

وكما البيت على هامش القرية ذات مكعبات الإسمنت التي تعلوها الصحون اللاقطة، كان صاحبه يعيش على حافة الحياة مؤثرا العزلة. والأندرم من ذاك البيت صاحب البيت بطيبته الفائضة وقد أكرمنا ورفض تقاضى أي مال مني مقابل ركن السيارة عنده، يبدو أنه مازال هناك خير في هذه الدنيا يجعلنا نتحمل سخافتها وجرائمها!

بعد محاولات أفلحنا في وضع العربة في الزريبة لتجاوز جاموسة «معوض» التي يبدو من حجم بطنها أنها- وأنه أيضا- ينتظران حادثاً سعيداً، رفعت البطارية وغطيت العربة ثم استدركت ورجعت فأخرجت المصحف منها فلا يليق تركه بهذا المكان واستودعته «معوض» هدية غير قابلة للرفض، وطببت على الجاموسة ذات العيون «الفتجالية» الوديعه التي هي أطيب من بني آدمين كثيرين، وأوصيتها أن تأخذ بالها من جارتها جيداً.

عدت إلى التنظيط في الميكروباصات والخناق مع سواقين التاكسيات البيضاء منها والسوداء، إلا أني بدأت أستمتع بالنوم مجدداً وأعصابي ذاقت طعم الاسترخاء اللذيذ بعد طول استنفار، وكل عدة أيام كنت اتصل على «معوض» كي أطمئن على الأمانة.

حتى كان يوم كنتُ قد انتهيت فيه من حضور تحقيق  
في قضية اختلاس وأنهكي - أكثر من ساعات التحقيق -  
كَم الفساد الذي ينخر في المصلحة وتبجُح الساقطين،  
وفي عودتي من مكتب المدير قابلتُ «عبده» وقبل أن  
أحكي له أي شيء رن تليفونه ولمَّا رد عرفت أن «معوض»  
هو المتصل ثم فجأة صرخ عبده: عملوها.. إتسرقت..  
إتسرقت.

عندما اخترقت أذني هذه الكلمة دوى صفيروني أذناي  
ودارت الدنيا بي ولحقت نفسي قبلما أقع وجلست على  
أقرب كرسي.

-: يا خراب بيتك يا «سعد». ولاد الكلب، يعني  
أنا خبيتها في آخر الدنيا وبرضه معتقوهاش.. يادي  
المصيبة.. أه يا جبرتي.. أه.

إلا أن «عبده» الذي أشفق عليَّ وانتبه لتأثير الخبر  
الصاعق تدارك مسرعًا:

-: لا يا أخي لأ.. مش العربية.. دي جاموسة «معوض».



## راعي غنم



أقف خجلاً من نفسي، غنمي قد تفرقت في الشعاب،  
أذهب وراءها وأجمعها، أفلح أخيراً في استعادة القطيع،  
يعود إليّ التركيز، أكف عن رفع البنطلون والسَّرحان في  
نقوش السجادة والمسح على أرنبه أنفي بالإضافة إلى  
تتبع النملة الحمراء التي تندفع يمناً مرة ويسرة تارة  
أخرى كأنها فقدت بوصلتها.

أثني جذعي ثم أرفعه وأرفع يدي، يتسرب ثغاء حملان  
حديثه الولادة، عند انحنائي تكون قد نضجت وصارت  
نعاجاً سمينه وصوتها يملأ جنبات العقل، تفلح في  
اكتشاف ثغرة في السور الواهي وتتفلت منه واحدة  
وراء الأخرى وأسرح أنا في مطاردتها، تبدو ضخمة وهي  
التي من قليل كانت عجفاء!

كيف يمكن لها أن تغلبنى هكذا؟ ألسْتُ راعيها  
ويفترض أن تُدين لي بالولاء، وألّا تجهدني خلفها هكذا  
من مرعى إلى مرعى؟

ما هذا؟.. يستحوذ على انتباهي الخنصر اللحيم  
لقدم جاري المشعرة، الذي يبدو كتمرة مكتنزة لكن  
الصوت الجهوري يسترجعني إلى صَفِّه: «سمع الله  
لمن حمده». وبفضل الصوت العالي تكف النعاج عن  
الهرب لثوانٍ ولكن ذاك الذي لا تنفذ له الحيل يفتح  
لهم فتحة في السياج ويفتح الأعين المغلقة ويشير إلى  
الفتحة مغريًا إياهم بحزمة برسيم يانعة فيهمولون..  
يُصَفِّر لهم فيتبعونه كأنهم بناته.

أرفع صوتي قليلاً وتصير المسألة شد حبل.

الآن أنسى ما كنتُ أتلوه وأركز في المعركة الدائرة.

أستغفر عن التفاتي.

يُفلح بصورة أو بأخرى في الإهائي.

يتكرر الأمر في كل الركعات.

يصير التشهد فاتحة الكتاب.

أُسَلِّم يمينًا وشمالًا.

والغنم قد تبخَّرت ولا شيء في ذهني.

أتربع وأجلس لاهنًا...

أستغفر الله... أستغفر الله... أستغفر الله.

## يا أهلاً بالوطن!



\*مستوحاة من أحداث حقيقية!

فبراير ٢٠١٠

حاولتُ أن أجمع معلومات عن قرية البضائع التي لم أكن ذهبت إليها أو تعاملتُ معها من قبل، لكنها كانت محاولة فاشلة أشبه ما يكون بالبحث عن «بيضة الديك»! والسبب ليس كما يظن البعض خطأً أن الديك لا يبيض؛ بل السبب ببساطة أن قرية البضائع - والتأنيث هنا مجازي وهذه منة كبرى إذ لو قُدر أنها تناسلت لكانت كارثة عظمى - قارة جديدة لم تصل سفن «كولومبوس» ولا «ماجلان» إليها وبالتالي لم تطأها الديكة البيّاضة بعد!

لكنني أفلحتُ في الوصول إلى شخص كان له قريب قد دخل المغارة من قبل ونجا كما بدا - مثل على بابا من

عصابة الأربعة - إذ أنه عاد سالمًا ليُقص حكايته على الخلق. ولقد تلخّصت القصة في وصية من كلمتين؛ أن عليك بـ «مُخْلِصِ جُمْرِكِي».

إن إهمال علامات التشكيل قد يجعل الأمر يُشكِل على أي من تقع هذه القصة في يده ولذا أرى من واجبي أن أضع تلك ليهتدي من في طريقه إلى حسن الظن أنه مُخْلِصٌ وليس مُخْلِصًا ، ويثوب إلى رشده فوراً.

ولما كانت الكلمتين هاتين ذواتي وزن نوعي ثقيل يعادل رقمًا يقترب بسهولة منقطعة النظير من الألف جنيه ضحكْتُ مستهينًا بالأمر ومُجيبًا أن خلاص البشرية ذاتها لن يُكلف ذلك الرقم ناهيك بالخلاص الجمركي! وحسبك أن «المُخْلِصِ» الذي سعى لينقذ الخراف الضالة من السعير لم يسأل على ذلك دينارًا ولا درهمًا وهذا الذي يوشك أن يُقجم متعلقاتي جهنمنا سيتقاضى «شئ وشويات» و من ثم أعلنتها بصورة قاطعة - ثبت منها شيئان هما السذاجة والتفاؤل والاتنان بينهما علاقة طردية موجبة - أنني لن أحتاج هذا «المُخْلِصِ». على أنه قبل الاسترسال يجب التوضيح أن السبب في تلك القناعة الزائفة - كما سيثبت لاحقًا - أنه قبل وبعد كل شيء لم يكن لديّ سوى كتي وملاصي القديمة، نعم كان الرقم كفيلاً ببث الشجاعة في نفسي

الضعيفة للتصدي لتلك المغامرة والسباحة في بحر بردا  
لي هادئ الأمواج وسهل المراس، لكنه أثبت أنه ليس  
ذلك الوديع وأني لستُ ذلك الحَصيف.

إن أولى مهام تلك المغامرة مستعنين بعلم  
التخطيط هي الدعم اللوجستي؛ وسيلة النقل. بكل  
تأكيد سوف أحتاج إلى عربة نصف نقل ولذا اتصلت  
ب «ناصر» ابن عمي - وهذا اسم حقيقي ومناسب  
للموقف تمامًا الذي يحتاج إلى النُصرة - الذي رحب  
بتديير ذلك، وبذلك انتهينا من أول خطوة.

في اليوم الموعد وقفت أمام البيت منتظرًا راحلتنا  
وكنت مستمتعًا بشمس صباح ذلك اليوم حاملة إلى  
عالمنا دفنًا وضياءًا فتذكرت بيتين نظمتهما من وحي  
صقيع الغربة:

لا تنخدعن بشمس الإنجليز

وإن طلعت

فليست سوى صورة

ولا تظنن الدفء كامنٌ بها

فإنما هي أباجورة

وبينما أنا على تلك الحال الشعرية الحاملة هجم على  
ديناصور بأربع إطارات كاوتشوك وأحني ظهره لأعتليه  
لينقلني إلى قرية البضائع... ما هذا؟! ألا يوجد أصغر

من عربة النقل تلك يا «ناصرى»؟ - بدا ذلك سعياً إلى  
حتف كما سيتبين بعد سطور قلائل - كانت هذه المتاحة  
فأرسلها وزيادة الخير خيرين!

توكلنا على مدبر الأمر وانطلقنا، وما أن اقتربنا  
من مقصدنا وهداً السائق من سرعته إلا وفي قفزة  
«طرزانية» تعلق بالعربة شاب مثل قراصنة الكاريبي  
عندما يهجمون على سفينة مسكينة، وسأل عن مرادنا  
وقبل أن نفتح أفواهنا كان قد احتل القرصان «جونى  
ديب» السفينة أقصد الكابينة! وبمجرد اقترابنا من  
البوابة سلمنا إلى شاب آخر قال إنه شقيقه! ولما كنت  
من النوع السهل إحراجه، وسيف الحياء قد مزقني  
تمزيقاً، والذي لن يصد غزوات فرض الذات الأخرى  
على ذوات مستكينة، وكم سبب هذا لي متاعب ومازال  
وسيزل، فقد سكت؛ أين شجاعتك إذن أيها الهمام؟

ها نحن ذا داخل القرية يوجهنا ال «جى بي اس»  
البشري الذي يرافقنا. ان هذه القرية بدون حقول  
ولا ترعة ولكنها لا تخلو من سكانها ذوي الأربع — هذه  
ليست مسبة على فكرة فالقصد هو المركبات ذات  
الإطارات الأربعة— وذوي الاثنتين ولا مانع من ذوي الأربع  
وأربعين، وبالطبع لا ننسى ملح القرية المصرية..عبيط  
القرية ويمكن بقليل من التخمين ومتابعة الحكاية

معرفته ومصافحته يدًا بيد!

كانت كل التعاملات تتم بواسطة ذلك الشاب - هلا أطلقنا عليه «اكس» هنا - وكنت أسير في ظله، ظله المعنوي قبل المادي، وصرتُ أنا ماكينة صراف آلي تستجيب للأوامر الصوتية التي يصدرها اكس، فكلما تم إجراء طلبٍ مألوفٍ: هات عشرة... هات عشرين. وكلما اقتربنا من أي موظف كان اكس يقول كلمته السحرية: «معايًا»، فتفتح أبواب مغلقة ومغارات مظلمة وتصمت عيون متساءلة.

وكما أسلفنا سابقًا أن حجم سيارة النقل كان عاملاً مؤثرًا إذ أنها أعطت انطباعًا زائفًا من أول «جاك سبارو» إلى الإكس أنى قد استوردت شيئًا عظيمًا، وكانت هناك محاولات حثيثة لجعلي أفصح عما جلبته من بريطانيا العظمى ليملاً تلك النقل، وما كان ليصدقني أحد عندما أجاب ببراءة طفل في الروضة تسألته «الدادة» عن سندويتشاته: كتب وملابس قديمة. لذا عندما تم أخيرا فتح بضائعي المزجاة استولت الدهشة على الإكس استيلاءً كاملاً مكملًا، إذ وجدني صادقًا وكان السؤال الطبيعي التالي ولماذا أحضرت كل هذه السيارة؟ والإجابة كانت ابتسامة بلهاء... لا تسألني واسأل «ناصرى» يا اكسنا العزيز!

الشيء الغريب هو أنه حتى قبل فتح الصناديق كان قد تم احتساب جمارك بقيمة ١٠٠٠ جنيه! مما جعلني مندهشًا.. فهل تستحق أسفاري وثيابي المستعملة ذلك المبلغ؟ ولكن سريعًا ما تدخل اكس لتخفيف الغُرم مطمئنا إياي وبعدها تعطف الرجل ذو الأرقام مصرحا أنه سوف يُخفض ذلك المبلغ وفعلا رست المركب بالسلامة عند شاطئ ١٨٠ جنيه! بوركت يا إكس!

كان الإيصال قد دفع ابتسامة إلى وجهي عندما أقيت نظرة عليه إذ تذكرت مشهدًا عبقرياً للريحاني «شحاته أفندي» مع عباس فارس ناظر الوقف ومستلزمات الخروف من حبل وجردل وخلافه. فلقد تم احتساب أرضية وسلك وبنود أخرى جعلتني أوقن أن «شحاته أفندي» فكرة والفكرة لا تموت، وأيضا أن أشيائي - آه يا أشيائي - قد نامت في فندق بدون استئذاني!

إلا أن أحد الإجراءات التي لم أكن أتوقعها هو فحص الكتب. إذ أخذ كتابان للتفتيش ولم يستغرق ذلك وقتًا طويلاً. لذلك قلت -مازحًا- أنهم قرؤوها بسرعة رهيبة. ابتسم اكس ابتسامة هازئة نقلتني من صفوف العقلاء إلى صفوف المجانين، وقال إنهم يرون ما هو في يدك -يقصد البنكنوت- وليس الكتب طبعًا!

على الجدار كان هناك ملصق أضحكني كثيرًا إذ كان

يُفصل تفصيلاً اجراءات ضمان الجودة في الجمارك. لكن لم يكن ذلك الشيء الوحيد الباعث على الضحك فقد كانت هناك هذه الورقة التي كانت تحتاج إلى توقيع من مكتب معين، ذهبت بنفسي هذه المرة وكان يجب أن أسير في ظلي القصير لا في ظل الإكس لأنه قال إن هذه النقطة بالذات يجب أن أنضح وأن أفعلها بنفسني فقد بلغت مبلغ الرجال في نهاية الأمر. وهنا يمكن تخمين أن الإكس رغب في المكوث في الظل تقاديا لكشف وجوده.

أشار الى المكان ومثل لعبة بزمبلك أطلقني فصعدت السلالم ومشيت في الممر إلى ذلك المكتب حيث كان شاب ضئيل الجسم يقف أمامه والذي سأل بدوره عما أريد. أعطيته استمارة تتمنى أن تحظى بتوقيع صاحب المكتب فدلّفت بمفرده وبعد دقيقتين خرج وسمح لي بالدخول. دخلت بهدوء لأجد مكتباً يخلو من أي موظف كائنًا ما كان. ومن فوره أعطاني الورقة موقعة مع ابتسامة ومتلفظًا بلزوجة: «عاوزين ناطر!» لثوان معدودة لم أفهم ولكنني تداركت الموقف بسرعة إذ بدأت أستوعب أبجديات اللعبة. غطست يدي في الثلاجة أقصد جيبي باحثًا عن ساندوتشات فلم أجد وعضًا نفحته الإفطار نقدًا ليتدبر أمر معدته، وأنا أرد عليه هازلًا: «هو ماما ما عملتش فطار؟» وأنا أربأ بكم يا حضرات الأفندية

والهوانم أن تظنوا ولولوهلة أني جاہتہ بہذہ الملاحظہ والتعليق المشكك في قيام أم مصرية أصيلة بمسئولياتها تجاه الابن العزيز، وإنما طبعًا أسررتُ ذلك إسرارًا.

مع اقتراب الـ«مشين ايمبوسيل» من نهايتها في قرية الفضاء كانت هناك آلة حاسبة تعمل في ذهني محاولة اصطياد الأرقام المتطيرة كما الحمام في فضاء امبابة، وفرمها في مفرمة. فألى جانب النفقات اللوجيستية، وما تقاضاه الإكس ناهز المبلغ ١٠٠٠ جنيه ذلك اليوم... عود على بدء اذن!

بعد أن انتهيت من المغامرة وافتككت متاعي من برائتهم، وقبل أن أودعه سألتني اكس -محققًا مبدأً أصيل في ادارة الجودة وهو السعي للحصول على التغذية الراجعة من العملاء- إذا كنت راضيًا. ابتسمت وقلت - هل أنا بحاجة حقًا للقول أني خاطبتُ نفسي؟ - «أنا..أنا ايه..أنا مش مهم... المهم أنت تكون راضي يا اكس».

جسدي مثخن بالجراح...لا أنكر! عائد بأسلابي من المعركة...من ينكر؟! وهأنذا أسلك طريق العودة الميمونة من قرية البدائع وفي ذلك راودتني فكرة مجنونة وهي رص صناديقي وحقائبي كبرج وأن أتموضع أعلاها في صندوق النقل في الهواء الطلق كأني تحتمس

يقود عجلته الحربية في أوبته من انتصاره على صاحب قادش، في مشهد يستحق أن يخلده «بانكسي» في جرافيتي في طريق المطار فيطالعه المغادرون والعائدون ولربما كتبوا تحته بعدة لغات «لا تصدقوا كل ما يقال فالبعض يرجع....أحيانا» مع رسم الاكس وهو يغمز بعينه في أقصى الجرافيتي. ولما خشيت من سائق الديناصور أن يعرج بنا على «العباسية» ويلقيني في السرايا الصفراء نحيت تُرهاتي تلك جانبا وقنعت بالجلوس في الكابينة وسرعان ما بدأت أجتراجتارًا ما حدث معي. أهذه هي طريقة سير الأمور؟ أهذا عادي يا بلادي؟

كان أبرز ما سيطر على عقلي الفتى السائل عن الإفطار. تذكرت أنني عندما دخلت المكتب لم يكن هناك أي موظف فيه - ربما هناك باب سحري لم أتبينه؟ هكذا بدأت مُخَيِّلَتِي في العمل، أه يا مُخَيِّلَتِي أه... ألا تستريح قليلا وتركني على جنب الله يسترك!

ماذا لو...؟

ماذا لو كان ذلك مكتبًا افتراضيًا؟.. موظف افتراضي، والتوقيع على الورقة افتراضي أيضًا. الشاب يستأجر المكتب ويقف على الباب، بالداخل هناك سترة مصلوبة على الكرسي، نصف كوب من الشاي مازال

البخار يتصاعد منه، وأخيرا لاستكمال الصورة عقب  
سيجارة مشتعلة! ضحكت من تلك الفكرة التي وابتني  
ثم فجأة قفزت إلى ذهني مرة أخرى تلك الآلة الحاسبة.  
لقد بدأت في محاولة لتقدير كم من شأنه أن يكسب  
المُخْلِصَ الجمركي في شهر؟ لم أستطع منع نفسي من  
حساب ذلك بالطبع.

أضحك حتى أقهقه فقد اعتدتُ كلما عاد إلى انجلترا  
زميل من مصر أن أسأله متقمصًا الشخصيات في  
المسلسلات التاريخية، مُتقعرًا بالفصحى ومُفخمًا  
لحروفي: وَكَيْفَ تَرَكْتَ الْمُحْرُوسَةَ وَأَهْلِيهَا؟ لأرد على  
نفسي تركتهم «على لحم بطنهم» يتضورون جوعا.

فبراير ٢٠٢٢

المحصلة...حتى الآن ترقد كتيبي في توابيتها التي  
تكسوها الأتربة في كل وداعة واستسلام.

## هدية العنق الرخامية



لمجرد أنها تتذكر عيد ميلاده ترتسم ابتسامة وادعة على شفتيها بينما تتذكر حملها الخفيف به فتمسح يدها على بطنها وكأنه مازال متكورًا داخلها. لا تنسى أول نظرة إلى وجهه الملائكي وأول صرخة شقت فضاءها المجدب فملأته حياة. لا بد أن تهديه هدية خاصة في يومه السعيد، هدية تختلف عن تلك التي صنعتها يد غريبة عنه؛ يد لم تتشرف بأن تضمه ولم يَنَم هانئًا على لمساتها... لا بُد أن تصنع شيئًا بيدها كلما أحاط به ذكَّره بها وقال له أنا هدية ماما إليك.

تتذكر أمها وهي تحاول أن تغريها بتعلم شغل الإبرة وكيف كانت مُعرضة عنه.. ليبتها تعلمت منها تلك الهواية، تهرع إلى المكتبة فتشتري كتابًا متخصصًا ومن ثم تجري إلى محل الخردوات فتجلب أصوافًا ملونة وإبرًا طويلة لتغرق بين الصفحات والتصميمات.

سوف تحيك له كوفية سحرية تزامن مع ميلاده  
الشتوي وهو الذي أدفأ صقيع حياتها.

لا تعرف ماذا تضع بتلك الكوفية هل تضع أقمارًا  
ونجومًا؟ أم أشجارًا وغزلانًا؟ هل مازال يستهويه الأزرق  
بدرجاته؟ أم غيرته السنون؟ هل تصنعها له طفولية  
مبهجة؟ أم بألوان داكنة وكشميرات تقليدية رزينة؟

ومثل من يتعلم القيادة تتعثر لتبدأ من جديد لتتعثر  
لتعاود الكرّة وتنقض غزلها لتنسج مجددًا. لكن القلب  
بهدية المحبوب جذلان. لكأنها تُهدي نفسها هديتها،  
فكل غرزة تحمل دفأ يديها ووداعة عينها وحُب قلب  
لم يستطع غيره أن يحتله.

وعندما حلت الذكرى حملتها إليه، وضعت باقة  
ورود حمراء وبطاقة «كل سنة وأنت طيب يا حبيب  
ماما» أسفل النقش «١٩٨٠-١٩٩٠» وأحاطت الكوفية  
العنق الرخامي في صمت مهيب.

لم يرد عليها كما اعتادت هي وإن كانت دومًا تشعر  
بعينين عسليتين ترمقانهما من عليّ.

مسحت على البطن التي ضمته في رحمها الأكبر  
وأوصتها به خيرًا...وصية أم لأم. ثم لوحت مغادرة.

وبعد أن اطمأن تمامًا لمغادرتها...كانت الكوفية  
ذات النصف المبهج والنصف الوقور تنتقل من العنق  
الرخامي إلى العنق النحيل لحارس المقبرة.

---

## توتوبي

### «Tutto Bene»



عندما عرفت بالصدفة من «محمود» صديقي أن المهندس «عادل» زميله في السكك الحديدية سيسافر في دورة تدريبية إلى إيطاليا - البلد الذي اختار أن يأخذ شكل «بوت» على خريطة العالم ربما إيدانا بما سوف يحمله للعالم في جعبته - أطلت برأسها الفكرة المخبوءة في ثنايا المخ، تدرك أن هذا وقتها فتسطع بأقوى ما يمكنها. أذهب إلى زيارته مع «محمود»، يتلطف و يسألني عن أحوالي فأجيب: «توتوبي».. يضحك ويقول لي: بتعرف إيطالي يا «سعيد»؟

- وحياتك يا باشمهندس هما كلمتين لقطتهم من فيلم.

وبخجل يملأه كثير من العشم أرجو منه أن يتكرم بشراء - لا مؤاخذة - حذاء إيطالي لي. أصف له الحذاء وكنت قد رأيت مثله عندما زارنا وكيل الوزارة ذات مرة

وقد كان الرجل موسوعة بيروقراطية صافية تسير على قدمين ولكن ما لفت انتباهي أن قدم تلك الموسوعة تنتعل حذاءً فاخرًا وقيل ساعتها أنه لا بد إيطالي. أصف مستحضرًا روح ذلك الذي انتعله الجهبد الإداري: بُني فاتح مش محروق.. برباط مش «بنص».. وعليه نقوش في مقدمته، المقاس ٤٢ ورسمت لك مقاسي على ورقة كرتون من باب الاحتياط.. أُعطي له تحويشة السنة مع كلمات الشكر؛ بينما وجه أمي بيرزلي تهمني بالسفه، وأنه ليس بالأمر العسير أن يُحجّر عليّ؛ إذ أن السفية هو الذي يضع مدخرات سنة كاملة في حذاء يطأ الأرض معانقًا شوارع أم البلاد وفخر العباد. لكن في واقع الحال إن ذلك الحذاء بالنسبة لي هو استثمار... أي نعم... استثمار في روجي المعنوية!

يغيب المهندس «عادل» ٣ شهور بالتمام والكمال وأنا أعد ساعات كل يوم حتى رجوعه الميمون. أذهب مع محمود لنسلم عليه منفعلًا كأني ذاهب في موعد غرامي، تتأرجح يمناي الطليقة في الهواء بينما اليسرى تحمل لفة «كل وأشكر» التي يعشقها المهندس طبقا لرواية محمود، يستقبلنا بترحاب ونشرب الشاي مع الحلو الذي أحضرته. أكل وأشكر بينما يحكي هو عن روما.. قطاراتها ومحطاتها، أبنيتها وشوارعها وطبعا

البيتزا، وقبل كل شيء وبعد كل شيء نسائها الخمریات  
الفاتنات.

أسمع بنصف تركيز بينما نصفی الآخر ينتظر  
البشارة، أخيراً أحمل الصندوق الكارتون الفاخر الذي  
ينام فيه الحذاء.. تلمع عيني بالانهارو أنا أقلبه في يدي؛  
قطعة فنية أبدعتها يد إيطالية تُلف في حرير، الفلوس  
ليست خسارة فيه أبداً.. تحفة حقيقية، يعجب  
«محمود» بالحذاء وهو الذي لا يأبه بالهندام ويطلب  
مازحاً أن يستعيّره عدة مشاوير. عندما أصل إلى غرفتي  
بالغنيمة أضعه في دولابي فوق الملابس.. أصحو من  
النوم لأتأمله ولمعة الجلد تعكس النور الواقع عليه  
فيكاد الدولاب أن يضحى، من روعته أتردد في لبسه  
عدة أيام إلى أن أقرر أني غير قادر على المقاومة.. ولماذا  
اشتريته إذن؟ أمن أجل تحنيطه؟!

أشترى جوربين جديدين إذ لا يصح أن تدخل  
العروس على فرش قديم. ألبس الحذاء أخيراً وأنزل  
مبكراً إلى العمل حتى لا أجري وراء الأوتوبيس؛ يفرض  
على وقاراً لم أعتده مع من سبقوه فأمشي بشيء من  
البطء حتى لا يتجدد وجهه.. في الأوتوبيس المكس  
بكتل بشرية يزداد توتري مع استمراره في التهام المزيد  
من البشر طول الطريق فأضطر أن أقوس قدماي حتى

أحميه من تحرشات نعال وأحذية الآخرين المتصلعة  
وأحبس أنفاسي حتى تمر الرحلة بسلام.

أدخل الهيئة وكلي فخر و اختيال وبالطبع رصانة..  
البعض يلاحظ ويهتني على «الجوز الجديد».. «مبروك  
على الأرض» تتكرر عدة مرات في الطريقة. أتقبلها شاكرًا  
بوجه متهلل وأكاد أرد «عقبال عندكم». في غرفة المكتب  
الضيقة الكئيبة أتفاخر وأنا أقول للزملاء أنه إيطالي  
الجنسية أبا عن جد! تتفحصه العيون النهمة، فأتلو  
المعوذتين في سري، وتُعلق الألسنة: لا بد غالي الثمن و  
لا بد أنه «ضلعك»، أرد عليهم بأن الغالي ثمنه فيه وأنه  
يستحق كل مليم دُفع فيه؛ و «تُوْتُوبِي».

في طريق العودة أسير وفقًا لخريطة ذهنية رسمتها  
مسبقًا أتحاشى فيها الحارات والشوارع غير الممهدة  
وتلك التي فاضت مجاريها حتى أصل سالمًا إلى البيت،  
أجد نفسي كلما مشيت عدة أمتار أنظر إليه بحنان  
وإعجاب كأب ينظر إلى طفله الجميل.

لكني أشفق على ذلك الطفل من تراب حوارينا  
وشوارعنا فأقف في مداخل البيوت كل عدة شوارع  
وأخرج قطعة قטיפية زرقاء لأطبطب عليه وأمسح  
الغبار المربع عن مسامه ونقوشه فأساعده على

التنفس، أشعر بالشفقة عليه لكأني جلبته من بلاده ليتجرع كأس الذل والمهانة؛ لتعذبه مطباتنا ولترجمه حجاتنا ولتتصيد حفر شوارعنا، هذه أرض لا ترحم أبناءها فهل ستترفق بالغرباء؟!

أخشى أن يكون هذا الأجنبي يلعن ثلاثتنا؛ الجالب له من بلاد الأباطرة والمجلوب له في بلاد الفراغنة وحلقة الوصل المتواطئة، أولئك الذين استوردوه لهذه البلاد القاسية. أفكر هل تو اتيني فرصة يوماً ما لأعبر الأبيض المتوسط لأرى كيف يعيش الناس في إيطاليا - حيث لا تعاني الأحذية ولا صانعوها ولا مرتدوها بكل تأكيد - إن من يضع هذا الإبداع في حذاء لابد أنه يبدع أكثر فيما هو أخطر وأعظم، وحتما يعيش في راحة ويُسر تكفل لعقله أن يُحلق في السماوات - هزرت رأسي مطمئناً و مهنئاً نفسي على نظريتي الجديدة التي تفسر جزءاً من هذه الحياة «الملعبكة».

حتى كان صباح يوم ...

في أثناء العمل أتى الساعي ليبلغنا بوفاة والد زميلنا «شريف» وأن صلاة الجنازة بعد الظهر، فأتوضأ في العمل تجنباً لخلع الحذاء في ميضأة المسجد... نصل للمسجد، أضع الحذاء علي رف خشبي بجوار العمود

الذي أمامي مباشرة.. نُصلي الظهر.. وبعد الجنازة أُسَلِّم  
وأُتجه لالتقاط الحذاء.. تتكاثر الجموع مندفعة نحو  
الأمام حيث النعش فتحول ببني وبين سليل الطليان..  
تُغير اتجاهي.. تلفني يمنا ويسرة مثل مروحة حتى أفلح  
أخيرًا في الخروج من قلب الدوامة البشرية.

أين الحذاء؟؟

أنظر في الأسفل والأعلى.. أُقَلِّب في الأحذية والنعال..  
أتجه لرف آخر.. لا يوجد شيء أجري لرف آخر. ثم أرجع  
إلى الأول.. أنا متأكد أنه كان هنا.. أين ذهب ابن روما؟!

أهرع لخادم المسجد - الذي يستقرئ وجهي الممتنع  
فيعرف المصيبة قبل النطق بها إذ هي مجرد إعادة لما  
عاشه حتما مرات عديدة - فيشهر سبابته كرمح في  
وجهي ويمزها مؤكدًا - قبل كل شيء - عدم مسؤوليته  
عن أحذية وأمتعة المصلين، ثم يطلب مني أن أتأكد  
مرة أخرى بينما هو متأكد من شيء آخر تمامًا؛ أنني قد  
سُرقت وكان ما كان. لا أصدق أن يحدث هذا لي؛ وفي  
بيت ربنا المتعال وفي صلاة جنازة! أكان عليَّ أن أصلي  
بالحذاء إذن؟ أم أقيده بجنزير إلى سارية المسجد!!

يُشفق على الرجل فيعطيني حذاء مهترئ كله بثور  
وتقرحات أذهب به إلى المقابر. ألحق بالزملاء وأنا

سأجن... أجلس متحسراً على فقيدي الغالي منكساً  
نظري إلى ذلك القبيح الذي يخنق قدمي وأضرب كفاً  
بكف متمماً باللعنات على سارق كنزي الذي اغتال  
فرحتي.. آه يا لوعتي... سوف أبكي دمعاً غزيراً فوق  
صندوق الكارتون الذكرى الوحيدة المتبقية من الغالي.  
الآن فقط - كما دبور أصفر كبير - يلسعني ثمن الحذاء  
الراحل وأشعر أن الأمر كان مقامرة كبرى؛ فهل أفلح  
في الإقلاع والتخلي؟ لكن كيف لمن لامس السحاب أن  
يلتصق بالتراب؟ وكيف يكون التبن بعد التبر والكستور  
بعد الحرير؟ مستحيل! لكن ذلك يعني رحلة طويلة من  
التقشف لأدخر من جديد، ويا ترى هل سأجد مسافراً  
إلى إيطاليا مرة أخرى؟ أم يضربني الجنون - فأحقق  
نظرة أمي في - فأسافر أنا من أجل جلب حذاء؟ ثم كيف  
سأواجه أمي؟ فكيف لرجل لم يستطع أن يحافظ على  
حذاءه أن يؤتمن على ما هو أجل وأسمى؟! معضلة  
تلك!

يلاحظ الزملاء - وفجيعتي لم يستجلوها بعد - شرود  
فكري وفرط تحسري وهم مشغولون بقراءة القرآن و  
استنزال الرحمات علي الفقيد الراحل.. يسألوني مالك  
يا «سعيد»؟.. وحد الله يا راجل.

أرد بحرقه: تُوْتُومش بني.. لا إله إلا الله.



## ميكروسكوب



حصان موسوم/ ذراع موشوم/ خال مرسوم/  
ضرس مخلوع/ زوج مخدوع/ زرار مفكوك/ حرف  
مفقود/ بنطلون مفتوق/ إنسان مهزوز/ حاجب  
محفوف/ شارب معقوف/ عقلة صباع طيارة/ دماغ  
حائرة/ متين مزورة/ بلوزة مقورة/ سوستة مفتوحة/  
شفايف منفوخة/ أنف «جيرارد دي بارديو»/ حسنة  
«مارلين مونرو».

تفاصيل صغيرة أي نعم، ولكن «الشيطان يكمن  
في التفاصيل» مقولة سمعها في ندوة تاريخية عن  
تلك التفاصيل التي غيرت مجرى التاريخ فأزالت دولاً  
وأبادت أممًا، ومن ساعتها وقد استحوذت على الفص  
الجبهي من مخه؛ الخبيث يعرف حقا أين يختبئ ومن  
ساعتها وقد قرر أن يكون مساعدًا مخلصًا وتلميذًا  
نجيبًا لذلك الكامن في أدغال التفاصيل. وكما قال  
القائل «الأحداث الصغيرة هي الحياة؛ لا تصدق أن

هناك حوادث كبرى، كلها تفاصيل صغيرة»<sup>(١)</sup>.

لا شيء يفوته؛ فهذه الجارة خرجت من المنزل الساعة السابعة، لابل السابعة و٣ دقائق للدقة وللتاريخ وهذا مواء يقطع القلب لقطة الصغيرة سلمى ابنة الجيران فقد ماتت أمها «فلافي» من يومين.

في الشارع هناك تفاصيل أكثر تثيري قماش الحياة من حوله، فهذا رجل ابتسم ابتسامة غريبة فينظر لها نظرة فاحصة مسجلاً في ذاكرته الفوتوغرافية قميص كاروهات وبنطلون «تشيно» رصاصي وساعة ضخمة معدنية كما لم يفوته أن يلاحظ أن ذا الـ «تشيно» عطس مرتين ثم بصق «المقرف» في الشارع بعد أن تأكد أن السيدة ذات التايرالبنى لا تلاحظه.. ثم هناك هاتين الشابتين الإفريقيتين ذواتي البشرة الأبنوسية وجدالهم مع صبي صغير حتى كادوا أن يشتبكوا بالأيدي ثم هدؤوا فجأة ومن ثم أعطاهم الولد كيس بلاستيكي أحمر فألقوا نظرة عجل على محتواه ثم غادروا سريعاً وكل واحد منهم ذهب في اتجاه مختلف!

يوقن أن تفصيلاً صغيرة مثل هذه تجعله يتخطى قوائم انتظار من يودون مقابلة الشيطان المعلم الأول -ليس أرسطو-، بل ربما يطلق «لوسيفر» صفيراً

١- عادل عصمت رواية «حكايات يوسف تادرس»

إعجابا به.

تمتلئ مسارات الذاكرة بأحداث وشخوص وتوقيات وملاحظات عن أشكال ملابس، ملامح وجوه، وإشارات يد، وكلمات فم وسموات غائمة وشموس متباطئة و أقمارناعسة، نقشة جوارب جاره في صلاة الجمعة، عدد ولون دبايس حجاب السيدة التي تقف أمامه، تعليق سائق «الاور» الألتغ عن الوزا(ي)ة الجديدة، لون روج الشابة التي كانت تنتظر بجواره أمام الـ«إيه تي إم». قرون استشعاره حادة وحواسه رهيبة وأذنه كما القط تدور بـ ١٨٠ درجة وعينه بالنهار كالصقر وبالليل كالبومة تعينه على التقاط تلك التفاصيل.

صباغ مدوحس/ حالم مكوبس/ رائحة ملوخية/  
ايووہ اسكندرانية/ ايد ملسوعة/ وذن مشرومة/  
مرارة مفقوعة/ لثغة لسان/ قلق حيران/ خصلة شعر  
متمردة بلون الباذنجان/ كلب جربان/ مونيكير بهتان/  
حبيب تقلان/ عصفور زوران/ مصران تعبان/ رشة  
بارفان..

التفاصيل... الجزئيات... شذرات الذهب... شظايا  
الرصاص... هي كل شيء... إنها الصمغ الذي يربط

أطراف الحياة و يشدها إلى بعضها، المنمنمات التي تشكل زجاج الحياة المعشق.. فهو ليس مثل الغافلين الذين لا يعيرون تلك التفاصيل اهتمامًا.

يطلقون عليه «الميكروسكوب» و«الهارد ديسك»، يقولون أنه مصاب بالوسواس القهري وهو يضحك ويسمها شغف بالتفاصيل، قوة ملاحظة يا بلهاء، وإدراك واسع بالمحيط يا حمقى، عدساتكم معتمة وعيونكم كليلة وحواسكم عليلة ووظيفة «الهيبيوكامبوس» لديكم معطلة.. وثقة يردد: الشيطان يكمن في التفاصيل وأنا أعشق التفاصيل.

في داخله يظن أن يومًا ما سوف يفيد ذلك وأن تفصيلا مهما بدت تافهة ربما تصير مفتاحًا للغز غامض ولعله يصير شاهدًا في جريمة ويُستدعى لشهادة فتسعه تلك التفاصيل الصغيرة، ألم يسمعوا بالمحقق «بوارو» أو «آرثر كونان دويل»؟ أو حتى تابعوا حلقات «جسيكا فليتش»!

إلى أن تحقق ما حلم به يومًا وتمت سرقة المحل الذي يسكن أعلاه.. تم استدعائه فعلاً للشهادة.

ارتدى أفضل ملابسه متأنقا، ولم لا؟ فهذا اليوم الموعد اختبار حقيقي لما آمن به وكرّس نفسه له،

سوف يصيهم بالخرس وسوف تُذهل عقولهم عندما  
يفتح فاهه فيسرد تفاصيل اليوم والليلة تفصيلا  
تفصيلا.

يسأله المحقق الأسئلة التقليدية: اسمك.. سنك..  
عنوانك.. وظيفتك؟

يضع ساقا على ساقا ويجيب.

تعرف إيه عن الحادثة؟ هل لاحظت شيئا في تلك  
الليلة أو الفترة التي سبقتها؟  
جئت إلى حلبتي سيادة المحقق...

Hold my beer!

يأخذ نفسا عميقا ويفتح فمه.

مهلا.....

لا تخرج الكلمات من الفم الفاغر... لنعاود الكرّة...  
يأخذ نفساً ثانياً وعيناه معلقتان في الهواء.

يركز على نقش الخاتم الفضي في بنصر المحقق.

يرجع إلى تلك الساعة من الليل... ماذا رأى.. ماذا  
سمع.. ماذا شم؟

صحراء جرداء.. خواء... هراء.

بؤبؤ عينيه يضيق وجهته تنعقد... يركز بؤرة العدسة  
فتتشوه الصورة وتمتزج وتتمايع بحيث يصعب إيجاد  
أي تفصييلة... بطاطس مهروسة باختصار!

حقًا احذر مما تتمناه فبعض الأمانى قاتلة!

يفتش عن ذكرى... صرخة... ضحكة... لا شيء...  
بلاطة ملساء، أي ميكروب أصاب الميكروسكوب؟ أي  
فاقرة دمرت الذاكرة؟

أيها الكامن في التفاصيل.. المترع على عرش  
المنمنمات.. المطرز في الحواشي والمضفر في الهوامش..  
المضمر في القول.. الموحى بالفعل... العاشق للصغائر  
التي تحدد المصائر... أسعفني.

ها هو قد حان دوره ليوضع تحت ميكروسكوب آخر  
مُسجى على شريحة زجاجية مستسلمًا للفحص، يتحير  
ويرتبك وتتكاثف حبات عرق على جبينه، لطالما سمع  
عنها وها هو يجربها... عرق بارد..

أخيرًا يخرج صوت الميكروسكوب تائمًا... بدون أي  
نكهة سوى حسرة لا حد لها ويكرر جملة لطالما سخر  
منها...

محدثش بالي من حاجة... كما أن ذاكرتي لاتسعفني.



قابله خارجًا، حتى إذا وصل إلى القاع ولمس الخشب التفت مرة أخرى إلى الكومة وأعاد التفتيش فيها حتى رجعت إلى الدولاب مرة ثانية ثم أعاد الكرة. ولما كانت عيناه قد بدأت تخاطبني خفية أن «انجدي حنانيك» تظاهرت أني سأجري مكاملة ثم انسحبتُ من الصالة مفسحًا المجال أمام الوقعة الوجودية. عذرًا يا صديقي فمن يستطيع الوقوف أمام «إل كابو» أقصد ال ماما!

حمار، وديل، وساحل... ضحكت في سري وأسررت لنفسي «كنتي تعالي شوفي طول ديل جوزك»، لكنه كان بالتأكيد أقصر من الساحل الشمالي إذ لم يكن قد تم اختراعه بعد! وفي لحظة انقلبت حوائط غرفة النوم إلى جدران أعلاها مجلد بلوحات ورقية ملونة عليها الجهاز الهضمي، وكان وأخواتها، وتصوير لخطوط الطول والعرض، وسبورة تحتل حائطا يعلوها التاريخ الهجري والميلادي ورأيتني جالسا على «تخته» خشبية تركز على هيكل معدني في المدرسة الابتدائية.

كنت أكره الحساب - وكان هذا مسماه قبل أن يتفرنج ويصير «ماثا» - كرهًا شديدًا وكانت حصته أثقل ما يكون على قلبي الصغير ولا أدري ما هي فائدته في هذه الدنيا. كنت أجلس في الامتحانات مثل الفأر المرعوب في المصيدة وقلبه يخفق بشدة كأنه مدفع يدك قفصه

الصدري الضئيل. والقط هو الأستاذ بعيونه الماكرة وبشواربه الطويلة ولسانه الخشن يمسح شفثيه قبل أن يلهتمني. كان وجهي قد صار ساخناً يشع دفناً مبالغاً فيه. وكنت قد وضعت همي في القلم الرصاص المسكين وصرت أبريه حتى تحول إلى قزم وصارت تحتي كومة نشارة كأني في ورشة نجارة. وأعملت الاستيكة في الورق مرات ومرات حتى تهرأ، الكل يغوص في الورق إلا أنا لكن للأمانة كان فيه بعضهم مثلي مما كان يبعث فيّ شيئاً من الطمأنينة كنت في أشد الاحتياج إليها.

ما كل هذه المسائل؟ إنها سيناريو قصير لفيلم رعب طويل! وما ينقصها سوى أن يكتبوا في آخرها «حزر فزريا صغيري!»

المدعوة مسألة كلامية - وربما الأولى تسميتها مسائل جدلية أو مسرحيات هزلية - هي مسألة غامضة ليست صريحة تقدم نفسها مع الإرشادات كما أي جهاز محترم يأتي معه «كتالوج»؛ علامة جمع أو ضرب، إنها الغموض بعينه إذ تُحاك في صورة قصة والمفروض أن أفك لغزها مثل وكيل نيابة شاطر متمرس في فك الشفرات وتتبع الأدلة والقبض على المجرمين، وفي بعض الحالات كان الأمر هينا خاصة عندما تكون هناك مشكلة واحدة؛ قصة بسيطة مباشرة لا تلاعب

فيها. أقتفي الشخوص والأفعال والأرقام فاضرب هذا في هذا أو أقسم ذلك على ذلك.

وأما تلك المُلغَزَات فمالي ومالهن.. إذ أن المسألة قد تحتوي على أكثر من جريمة وبالتالي تصبح معقدة على «شربلوك هوليمز» الصغير، خذ مثلاً سيارة النقل هذه التي تحمل عشرين قفص برتقال والقفص يحوي ٢٧ كيلو جرام وفي الطريق قابلها مطب فسقط منها ٣ أقفاص ثم انشقت الأرض عن عربة سيرك بها قرد شقي سولت له نفسه أخذ ثلاث برتقالات تزن الواحدة منها ٨٧,٥ جرام والمطلوب مني أن أحسب عدد جرامات البرتقال الباقية من السيارة! حتما سأكره البرتقال من هذه اللحظة وستصير بيني وبين القرود قطيعة أبدية! فضلاً عن مسائل السيارات التي تقطع مسافات على سرعات والمطلوب زمن الوصول وأشياء هلامية من هذا القبيل! الأمر يحتاج سعة صدروسعة وقت وسعة خيال. وأين أنا من ذلك وأين ذلك مني! إن هذا الأمر يحتاج أفق أرحب مما عندي.

لكني كنت قد توصلت إلى استراتيجية بدت حلاً مريحاً؛ أعمل فكري في المسألة الأولى قدر استطاعتي فإذا كان «شكلها كده جمع»... صارت جمعاً ثم التي تليها «شكلها طرح» فلتكن طرحاً، وعلى الأرض

السلام وبالناس المسرة، وكلما انتهيت من واحدة كانت الاختيارات تقل ويصبح الأمر أيسر، إذ لا يمكن أن تأتي مسألتان متتاليتان من نوعية واحدة، إن الذكاء المفترض في الأستاذ يقضي بعدم جواز ذلك وإلا صار ذكائه مشكوكاً فيه ولما سمحت له وزارة التربية والتعليم بالتدريس والانتساب إليها، إن حدث عكس ذلك فإن ثقتي في الوزارة التي تتحكم بمستقبلي لسنوات عديدة قادمة سوف تتضرر بشدة.

ينتهي الامتحان أخيراً، ويبدأ جمع الورق وأستطيع التنفس مجدداً و الآن تصبح أمنيتي أن يسير حظي كما تسير استراتيجيتي في حل المسائل الكلامية؛ فيسقط من قبلي وأنجح أنا ثم بالطبع يسقط من بعدي.. هكذا تسير الحياة؛ سطر و سطر. فقط أدعو ألا ينجح من قبلي!

مثل «بُميرانج» ارتدت «أمينة» للغرفة صائحة وقد انتفش شعرها فصارت مثل أسد ثائر قد أثارته رائحة دم طازج:

«ابنك آخره يوزع إعلانات في إشارة «سفنكس»!

ابتسمت... بالتأكيد الولد أحرز تقدم؛ من حمار في أول الليل إلى موزع إعلانات في أقل من ساعتين. يبدو

أنه وضع حافريه -أوقدميه- على الطريق الصحيح!  
تعود غرفة الفصل إلى سيرتها الأولى كما عادت  
الحية عصا في يد كلیم الله موسى ثم يصلها صوتي  
الوائق أخيرا:

«الولد هيبقى زي الفل وهيطلع مهندس كمان زي  
أبوه، وبكره أفكرک يا أمينة!»!

## تويوتا كرسيدا



انتهى الشتاء ويكاد أن يولي كذلك الربيع القصير  
جدًا و يوشك أن يحل الصيف الطويل وكلما اقتربنا  
منه كانت بذرة الانزعاج الخفي بداخلي تتنامى.. فميعاد  
الاجازة الصيفية سيحين قريبًا وسوف تتأزم علاقتي -  
المتأزمة أصلاً - بصفاء! ولن تتحسن سوى مع حلول  
الخريف... إلى متى هذا العذاب!

إن الصيف بمعناه المبسط جدًا يساوي الحر  
الشديد، يعني أسبوع في الإسكندرية أو بلطيم، ولكنه  
بصورة أخرى يعني عودة الطيور المهاجرة التي كانت  
تعرق دمًا في الخليج. إنه السيارات التي تحمل لوحات  
صفراء مدون عليها بلون أحمر «جمرك» والتي لا تكف  
عن التجوال في مركزنا الصغير مخرجة لسانها لنا،  
لكل من وقف «محلك سر» على هذه الأرض. يعني أن  
يبدأ «شكري» سمسار الأراضي والعقارات في النشاط  
والطواف بحثًا عن مشتري وبائع ليوفقمهم في الحلال  
- أو الحرام - سيان عنده. وأن يبدأ نشاط الأسمنت

والحديد المسلح لترتفع قامات المنازل الواطئة وتنبت  
منازل أخرى فتتغير ملامح المكان في شهور معدودة. إنه  
موسم حلب الأبقار المهاجرة التي كانت ترعى في جزيرة  
العرب.

كان نصيبي من تلك الطيور طيرين هما «نبيل» و  
«جلال»، وبالطبع كان لا بد من تبادل زيارات تتضمن  
الجلوس إلى مائدة غداء أو عشاء، وبالتالي لا بد أن  
تحدث المقارنات، وإذا كنتُ قادرًا أن أكبح جماح نفسي  
فكيف أسيطر على تطلعات «صفاء».

اجتمعنا ثلاثتنا في بيت «جلال» على العشاء ومعنا  
زوجاتنا وأطفالهم.. كنت واهمًا إذ ظننت أن الوقت  
سيمتد حتى نصل البيت ففي الطريق احتلت وجه  
«صفاء» امتعاضة وبدت ساهمة، وبمجرد كلمة مني  
انفجرت في وجهي عن منزل «جلال» والدور الثالث  
الذي ظهرت تباشيره، وأساور زوجة «نبيل» الثعبانية  
ذات العيون الحمراء، عن جهاز الفيديو والكاسيت ذي  
البابن.. طلبت منها بلطف أن نؤجل الشجار فقط حتى  
نصل لبيتنا.

في الطريق كنت أفكر كيف أرد عليهما؟ إن حججي  
واهية بالنسبة لهما، ما الذي يمنعي من السفر أو

المحاولة على الأقل والكل يلهث وراء تلك الفرصة، إن الجميع يعيش على ذلك الأمل، يكفي تذكر أستاذ «عرفات» وهو يوزع الشربيات في المدرسة عندما جاء اسمه في كشوف المعارين... هل يجدي معها اللعب على أوتار الوطن؟ ومثلما لا يعيش الإنسان بلا أكسجين فأنا لا أقدر على العيش خارج مصر يا صفاء!

إني بذلك أبخس قدر ذكاءها! أم أتعلل بالأهل وأختي الوحيدة تعيش في الوادي الجديد ولا أراها - إن حدث - سوى مرة بالعام.

نمر أمام منزل «داليا» فأخطف لمحة للبلكونة ولكن لا أحد هناك.. هل ما زالت تفكر بي؟ لم لا أسير مع «داليا» الآن وبدلاً من ذلك «صفاء» هي التي بجواري، كيف سارت وصارت الأمور هكذا يا ربي؟ أتخلص من «صفاء» أخيراً وأعلم أن أمامي عدة أيام من الخصام.

أجلس على القهوة ذات مساء عندما تأتي «تويوتا كرسيدا» بيضاء وينزل «نبيل» منها تحين مني التفاتة لاكتشف أن سيارته هي الثالثة من ذات الفصيلة واللون التي تربض بجوار القهوة. يضع المفاتيح المترابطة في ميدالية فضية على الترايزة يبرز منها مفتاح متميز لا بد أنه مفتاح السيارة. تعبت يدي بالمفاتيح بينما تسلبني

أحلام يقظة أراني فيها خلف مقود السيارة وبجوارى..  
كرمة العنب «داليا» التي تسقيني من خمر غرامها.  
أنتبه وأعود إلى «نبيل» وبينما نشرب العناب المثلج  
يحكي الكلام المعاد كل عام: الغربة المرة، المصريين في  
الغربة الذين هم عقارب سوداء اتخذت صورا بشرية،  
والكفيل وأعاجيبه.. استمع وأسدي نصائح عامة لا  
أساس لها من الخبرة وأعلم أنها فقاعات صابون ما أن  
تلامس و اقعها الساخن حتى تتلاشى. أحاول أن أسري  
عنه فأبدأ في إلقاء آخر النكات المصرية ونوادر العيش  
في مصرفياًخذ في الضحك حتى يطفّر الدمع من عينيه  
لكني أتوقف فجأة إذ أشعر أنني تقمصت دور مهرج  
الملك.

يقرب ميعاد الهجرة فتبدأ الطيور في رفرقة أجنحتها  
وتجهيز حقائبها وإنهاء المشواير التي لا تنتهي أبدا. وكما  
هبطوا علينا رحلوا عنا، رحلوا بصخبهم وحكاياتهم  
وربالاتهم و «تويوتاتهم». تهدأ المدينة، تنام معاول  
العمران وتهبط أسعار الأسمنت، ينكمش «شكري»  
منغمسا في حساب أرباح الموسم، ويبدأ الفراشون في  
تنظيف المدرسة استعدادا للعام الدراسي الجديد.  
تبدأ صفاء في الهدوء تدريجياً لكن الأهم أن داليا  
عاودت الظهور في البلكونة.

## عيادا



من شدة فرك يدي بدأ الدخان يتصاعد بينما أتأرجح وأنا أدندن «ريحة صواني مفتححة وكستليته مشوحة»، لا أستطيع انتظار استكمال تجهيز السفرة التي كنت أول من جلس إليها وقد شممت أذري وسيقاني، ولعابي اللزج قد سال كطفل «صغني» فأغرق ملابسي فالتصقت بجسمي.

كان الغداء رائعا كالعادة؛ الكباب تحفة والكفتة روعة والسلطات حكاية من حكايات هذا العالم المثير. شرعت أقفز من طبق إلى «سرفيس» إلى سلطانية بخفة راقصة باليه لها سرعة «شيتا» مع شهية دب أشهب استيقظ لتوه من بياته الشتوي في محمية «يلوستون»، كنت أقذف القطعة تلو القطعة مستمتعا بكل فتوته موشكًا على إفراغ الصحون، لكن فجأة قرب الانتهاء انتابني مغص شديد اعتصر أمعائي الأفعوانية، فتقيأت أنهارًا صفراء وسوداء وحمراء، كانت عيوني تجحظ مع كل تقلص إلى أن أفرغت جوفي تمامًا... ثم

جلست أبكي على الكفتة والكباب اللي راحوا هدر...  
شيء رهيب.

جلست على «النيش» ألهث ولساني المتدلي - مثل أي  
كلب في يوم حار لا يجد حتى شجرة يستظل بها- يلمس  
الباركيه، وعيوني تكاد أن تفارق رأسي و «عموره»  
و «دودي» يأكلان وأنا لا أستطيع أن أشاركهم تلك  
المأدبة الشهية..

هدأت قليلاً فمددتُ يسراي نحو سلطة الزبادي  
الباردة لعلها تقضي على التقلصات فلم أستطع  
الاقتراب... هناك شيء ما يصدني.

بقيتُ جائعاً بقية النهار حتى وقت العشاء الذي كان  
مكافأة طيبة؛ إذ كان فيه سندوتشات الجمبري التي  
أحبها بصلصة ثوم شنيعة اللذاذة وتمكنت من التهام  
كمية لا بأس بها عوضت «الهفتان» الذي كنت أشعر  
به، لكن عندما تكرر سيناريو الأمس على غذاء البوري  
المشوي في اليوم التالي هشمت رأسي في مرآة الحمام  
بعد أن تقيأت، عندما هدأت أخذتُ أهرش في رأسي  
النايبة حديثاً؛ هل أنا مريض؟.. هل هذا ممكن؟ أم أن  
الطعام اللذيذ مسموم.. مؤامرة هي إذن؟

ثم كانت الفاجعة الكبرى يوم الخميس الماضي، وما

أدراك ما ليلة الخميس في مصر، وفي بيتنا خاصة!

كانت حبيبتي «دودي» قد اشترت «بيبي دول» جديد كنت قد أوعزت إليها وألححت عليها أن تشتريه عندما كنا في المول أول الأسبوع، كان مذهلاً حتى أنني أخذت أخز البائع بشوكتي التيتانيوم الجديدة - استهلكت ٦٦٦ شوكة في آخر عشر شهر - كي يلتفت إلى حلاوته المتوقعة على «دودي» فأخذ يستدعيها في خياله العرييد ويؤكد على صدق حديثي ويشيد بسلامة ذوقي، بئْتُ أنتظر أن يأتي اليوم الموعود بفارغ الصبر وكذلك كان «عموره» حبيب قلبي.

وأتى الخميس.. «هلا بالخميس» دخلنا الغرفة وكنا «مسخسخين» من النكت اللي لا مؤاخذة بتاعت «عموره».. يستخفني المرح فأرقص رقصات بهلوانية على السقف والحائط.. ياه كم أحب «دودي» وطبعاً «عموره» وبالتأكيد أعشق ليالي الخميس التي تجمعنا، كنت أرتمي «الروب دي شامبر» هدية «دودي» متقمصاً دور الرائع «عادل أدهم» في فيلم شاهده منذ زمن و التصق في ذاكرتي المغناطيسية وأنادي «دودي»: «يا قطة.. يا قطة» و «أبسبس» لها، وهي لا تتمالك نفسها من الضحك.

وبعد الغزل العفيف وغير العفيف واللمسات  
الخجولة والجريئة قفزنا على السرير وتحولنا إلى قطع  
شكولاته ذائبة من حرارة اللقاء، وفي اللحظة الحاسمة  
التي يرتطم الموج بالصخر عندها وتفور «السفن أب»  
وقتها.. فجأة كأن قنبلة... قنبلة ايه! «تشيرنوبيل»  
انفجر من جديد ووجدت نفسي راكبًا لابسًا حاضنًا...  
شنطة السفر النائمة على الدولاب!

«دودي».. «عموره».. اصبروا.. ما يبصبروش..  
استنوني.. ما بيستنوش.. بقى كده!

حاولت النزول لم أقدر «انشليت».. شلل ثماني!  
يا خبر أسود.. تحولتُ إلى قطعة جبس، كنتُ أشاهد  
وانفعل، وأذوب واندesh بدون مشاركة فعلية،  
ياللقهر.. ما أقسى هذا؛ تشاهد فلا تفعل... وتبدأ فلا  
تتم... وتشرع فلا تُنهي!

حاولت أن أستعيد السيطرة على العضلات الخائرة  
الخائنة لأغزو مع الغازي الفاتح ولكن بدون جدوى،  
فوضعتُ يدي على قرني وبقيت عامل زي اللي شايل  
طاجن سته!

وهي دي حكايتي يا كبير.. تفتكر هرجع طبيعي تاني؟  
الآن أحاول الدخول إلى البيت طائرًا.. زاحفًا..

عائماً، ولكن سياجاً من وهج أخضر حوله يمنعي،  
يبدو أنني فقدت السيطرة والزمّام قد أفلت من شوكتي!  
أطير في الشوارع شريداً محطماً وأذني يتردد فيها  
أغنية لم تلمسني من قبل كما تفعل الآن: «قولي لي  
يا مرايتي.. قولي لي ايه حكايتي.. تكونشي دي نهايتي و  
آخر قصتي». كان صوت «حمودي» ممتلئاً بالشجن  
والحزن مما جعلني أضحك على خيبتني وأبكي على  
مصيبتني بصورة هستيرية لا يستطيعها سوى أمثالي..  
تردد أصدااء ذلك فتمتق حمير وتنبح كلاب، ويتمازج كل  
ذلك في سيمفونية متلظية.

حقاً الغزاة مش رايقة!

تأخذني أجنحتي النارية إلى قمة الهرم الأكبر، أطل  
على «محروستهم» و الشمس تغرب ما بين قرني...  
أشتاق إلى إحدى سجنائر «عموره» المبرومة... فأجلس  
«أعضعض» في ذيلي محاولاً وضع الـ«بلان بي» للتعامل  
مع الوضع المتأزم !!

---

## القبطان فؤاداموس



السبت ١٦ يناير ١٩٩٩

كنت أنظر من الشباك نافثا دخان سيجارتي  
الروثمان بينما يدي اليسرى تعبت بأصيص نبت  
الصبار وعيناي مثبتتان على الغيمات المكفهرة فوق  
جبل المقطم حارس القاهرة الأزلي بينما أنا مجرد  
حارس مؤقت على بقعة منها، عندما توقف الصندوق  
الأزرق في ساحة القسم متقياً ما التقمه من طعام  
فاسد وفضلات بشرية هي حصيلة التجوال اليومي.  
كانت عيناى تمسحان النازلين وعقلي يُصنّفهم  
بسرعة البرق والبطاقات المجهزة مسبقا تلتصق علي  
الوجوه مانحة كلا منهم جريمته وربما أيضا عقوبته؛  
هؤلاء آداب وهؤلاء مخدرات وهاتيك غجريات النشل  
وذاك...؟ ذاك...؟ ... يحيرني هذا الرجل ربما يصلح  
لحمل بطاقات مختلفة وربما لا يناسب أيا منها في

ذات الوقت.. شعر قطني كثيف و بليزر كحلي كليل  
تضيئه نجوم من الأزرار النحاسية و بنطلون فاتح  
يجعلونه يصلح لأن يكون قبطاناً.. لكن مع فردة حذاء  
يتيمة يصبح قبطاناً حافياً.. يبدو أنني وجدت شيئاً  
مثيراً أخيراً.. أأجعله فاتحاً للشهية؟ أم يصبح الطبق  
الرئيسي؟ أم أبقيه للتحلية؟.. ينظر لأعلى عندما أنظر  
لأسفل فتلتقي منا العينان في مواجهة مباشرة مبكرة.

أتخلص من العاديين المملين سريعاً، يترسخ شعوري  
بالتفوق في قراءة الوجوه وسبر الأغوار فلا أحد منهم قد  
خيب توقعاتي.. لم يطلقوا عليَّ «الكاهن» عبثاً! لكن  
عندي شعور خفي أن القبطان سوف يكسر القاعدة  
كما تتنبأ حاستي السابعة. أفرغ نفسي لفيلم السهرة..  
أنهي العمل الورقي وتليفوناتي، أضئ المصباح الصغير  
وأرتب مكتبي. ولما تأكدت من وفرة سجائري أرسلت  
في طلب عشاء ثم غسلت وجهي وسويت هندامي قبل  
أن يحين دوره في المثول في حضرتي فيدهشني الشبه  
الكبير- الذي لم أتبينه من أول نظرة - بينه وبين ناظر  
مدرستي الثانوية الذي صفعني يوماً ما بعد محاولة  
هروب فاشلة.. بيدي أشير إليه أن يجلس فيممثل  
والقرب يعطيني الفرصة للتفرس في ملامحه، لعل  
خطوط تجاعيده تفسح عن حكايته.. لعل الرائحة

تشي بمفتاح ما.. تمنحني سرًا أكشفه له فأفاجئه..  
فتمنحني يدًا عليا أمارس بمقتضاها سطوتي.. إلا أنني  
أفشل.. هل أنا في حضرة الناظر فأستحي أو أخشى؟ أم  
عنده مضادات حيوية تمنعني من الاختراق؟

- معاك بطاقة شخصية؟

= ضاعت.

- الاسم الثلاثي.. السن.. العنوان؟

= فؤاد مراد البحار.. ٥٢.. العباسية.

- أنت كنت بتخبط في باب المتحف ليه؟

يسكت و هو ينظر إلى الأرض بإمعان شديد جعلني  
شبه موقن أن هنالك شيئًا ملقً هناك ثم يرتفع ببصره  
علي الحائط وكأنه يتسلقه بعينه.. يتجدد وجهه..  
يعاني الصعود.. ينهج نفسه بفعل نقص الأكسجين  
حتى يصل إلى السقف.. فيتهد مرتاحًا فيثبت عنده  
ثوان ثم يهبط الجبل.

- ما سمعتش ردك.. أنت كنت بتعمل كده ليه؟ ومين

هم اللي هيفجروه؟

ينظر إلى اليمين والشمال لكأني غير موجود.. يساورني  
إحساس أننا لسنا الوحيدين في مكتبي.. لا يلتفت إليَّ

كأني قد تلاشيت.. ينظر إلى اليمين ويؤمي برأسه ثم إلى الشمال فيضع يميناه على صدره ويشهق شهقة تخلع أوتاد قلبي.. ثم يقول بصوت هادئ واثق يتسرب إلى داخلي كما الماء بين الشقوق:

-الخونة.. محدش بيسمع الكلام.. واللي بيسمع مابيفهمش واللي يفهم مابيعملش!

نظرتُ مرة ثانية إلى ملفه حيث تم ضبطه و هو يصرخ بشعارات حماسية وإهانات لرموز قومية.

يُخرج من جيب البليزر نوته صغيرة يضعها علي المكتب ثم بإصبعه يكتب بسرعة هائلة وأنا مذهول... متأكد أنه لم يخيب توقعاتي أيضاً.. ليته خيها! إلا أن الكرة الأرضية على مكثي توقفه مسحوراً، يُديرها فيسحب ناظري إليها فتكاد تصيبني بالدوار ثم يوقفها ويشير بإصبعه وقد أغمض عينيه:

-الشاهقان يحترقان.

يلطمها فتدور ثم يلطمها مرة أخرى ثم يوقفها بحركة حادة فيقف قلبي معها.

-الطوفان لن يترك مكاناً للإنسان.. العيون المسحوبة تبات مرعوبة.

يعجز لساني عن النطق.. يقشعر جسدي من العين  
التي تبرز في جحوظ والشعر الأبيض الهائج.  
ينظر إلى الصورة المعلقة خلفي.. الشاهدة علي كل  
تحقيقاتي.

-التمثال يشير إلى الميدان؛ من هنالك يبدأ الفيضان..  
أغوص في الكرسي.. يربكني ويحيرني.. مشاعر متناقضة  
تجيش بي.. الأمر يسير جداً؛ أصفعه فأخرس هذا اللسان  
والأيسر من ذلك أن أقذف به الي زلزلة ليتم إكرامه  
غاية الإكرام بدون أن أتعب يداي، ولكني أيضاً أشعر  
بالشفقة عليه.. ربما بشئ من الاحترام؟ أم هو الخوف؟  
يطرق الباب عسكري الحراسة وقد جاء بالكباب  
الساخن فينقذنا من التوتر الذي حل على الغرفة..  
يضع الطعام علي المكتب وينصرف.

أحاول أن أخرج من الجو المليء بشحنات الكهرباء  
التي تلسعني.. أقدم له طعامي ونأكل معا... يعجبه  
الكباب ومع قطعة الخبز الأخيرة التي يمسح فمه به  
يميل ناحيتي قليلا ويهمس:

أنت والعيش.. متفترقوش..

لغز آخر يتفوه به..

الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١

اليوم تلح عليّ ذكرى ذلك القبطان؛ الرجل الذي  
أودعته مستشفى الأمراض النفسية منذ ١٢ عام..  
لكأننا كنا نأكل الكباب بالأمس القريب، اليوم  
الفيضان البشري يكتسح المنطقة.. أمكشوف عنه  
الحجاب؟ أيخاوي الجن؟ يا ترى هل مازال حيا؟ أما  
زال عنده نبوءات؟

كيف ستمضي بنا الحياة؟

الأربعاء ١١ فبراير ٢٠٣٢

عثرت على الهارد الخارجي لجدي.. ملفاته أغلبها  
سليمة.. من أكثر ما يلفت انتباهي حكاية ذلك القبطان  
الذي قابله في ١٩٩٩ وتسونامي آسيا وأحداث ٢٠١١  
التي تنبأ بها.

الآن أفهم ما أعتبره جدي-رحمه الله- لغزاً.. يغادر  
الحياة ممسكاً بلباب الخبزيفرکه لإطعام العصافير.  
أنت والعيش.. متفترقوش..



## هاحكي لكم حته موقف

### حصل معايا يا رجاله!



اتنين بنها... اتنين بنها... اتنين بس ونمشي على طول.  
العربة غير مشجعة لأنها - والأمر لا يحتاج إلى قوة  
ملاحظة - متهاكة وبالتأكيد الجلسة لن تكون مريحة  
على الإطلاق... لكن لا يوجد غيرها، فبعد انتظار  
حوالي ساعة ونص هذه هي الوحيدة المتاحة.. فاليوم  
الأربعاء وهذا معتاد في نهاية الأسبوع، وبعد سنين  
طوال في الركوب والتنطيط على الخط تطورت قدراتي  
لأستطيع اكتشاف السيارات المتعبة والسواقين  
السمجين. طبعاً فشلت في اكتشاف البعض فقد  
كانوا يرتدون دروعاً وهمية من اللطافة والطيبة ولكن  
مع تكرار التعامل وسخونة الاحتكاكات تذوب الدروع  
الجيلاتينية وتكشف الحقيقة.

نعيش الآن مرحلة الميكروباصات الصينية التي  
صرت أتوجس منها فهي «كومبكت» ضيقة بطريقة

مزعجة وغير مريحة بصورة مقلقة. لكن التي أمامي الآن لا أعرف لها تصنيفا فهي ليست «تويوتا» يابانية عريقة ولا هي «كينج لونج» أو حتى «جولدن دراجون» من أهل الصين.. كائن مسخ لا هوية له... فيروس متحور فقد شفرته الأصلية... والسائق غير مشجع إطلاقاً... ولكن لا بديل إذا أردت أن أُلج البيت قبل منتصف الليل.

دخلت بقدمي اليمنى وتحققت أول الظنون؛ هذه الدابة غير مريحة على الإطلاق.. ولكن غير مهم ٤٠ دقيقة والحياة تحيا والكوكب يتكوكب.

بدأ التحرك أخيراً وبدأت أولى الإرهاصات فقد توقفت السيارة تقريباً قبل أن تطلع، حاول السائق مرة ثانية سريعاً مع المحرك... ثالثة.. ويا مسهل..... وانطلقنا.

نخيب في التقاط الإشارات الأولى في الحياة ولو فعلنا لوفرنا طاقتنا لما هو أهم وأجل... ولكن نخدع أنفسنا ونمنى بأن الوضع سيتحسن حتماً وأن الصبر جميل ويكفي جزاء الصابرين... وهاك يا سيدي فرصة أخرى! انطلقنا من الموقف على بركة الله، قبل ميدان المؤسسة.. بدأت السيارة «تكح» فعلاً مثل البشر..

أصابها كحة وزغطة وبدأ الكائن المسوخ ينتفض وكأنه ثور في حلبة الروديو يريد أن يطيح براكبه. توقفنا على جنب ولما كان الموتور تحت مقعد السائق فقد رفع الكرسي الأمامي وشرع يعالج الموتور المريض وتبرع أحد الركاب بمساعدته. هذه كانت دعوة صريحة لمغادرة السفينة خاصة أنه ما زال في الإمكان القفز على الرصيف والخسائر آنذاك شبه منعدمة فعلياً.. ولكن غرور البشر لا يطاق فهم لا يأبهون للعلامات.

نجحت المحاولة و انطلقنا و بدأ لم الأجرة.. وفي دقائق استقرت في جيب السائق بالقرب من قلبه، ثم كان المصير المحتوم والتالته ثابتة، بدأ تقطيع الموتور وبدأت أنفاسه تتسرب نفساً وراء نفس وقلبه المثقل بالشحوم وبساتمه التي ملأها الكوليسترول تهاووا وما عادوا قادرين أن يضحخوا الحياة في الجسد المتداعي.. وداعاً قالها بصوت كدنا أن نسمعه رغم ضعفه.

على جانب الطريق توقفنا وبدأت محاولة إسعاف المريض وتطوع أحد الركاب بأن أضاء كشاف الموبايل ليستطيع الطبيب إجراء تنفس صناعي للموتور لعله يستطيع أن يهبه أنفاساً تكفل له على الأقل الوصول للجراح فيما بعد، و لكن عبثاً لا تنفس صناعي ولا تدليك قلب كان بمقدورهم أن ينعشوا ذلك المحتضر..

كان مثل ناقة بركت و أقسمت أنها لن ترفع بطنها عن  
التراب ولو أتوا لها بأطيب علف وأعذب ماء.

لم يجد السائق - وأنا متأكد أن هذا القرار كان من  
الممكن أن يتسبب له بنوبة قلبية - سوى أن يرد الأجرة  
فنحن فعلياً لم نبتعد كثيراً عن الموقف ولربما تمنى أن  
يهبط من السماء طائر الرُخ فينقذه منا في تلك اللحظة  
أو أن يفتك بنا ذلك المرخوخ.

نزلنا وتراصصنا حول السيارة كمشيعين حول  
جنازة، محاذرين من السيارات المارقة بسرعة  
صاروخية جانبنا، وفجأة وجدت الأجرة في يدي و  
أصبحت مسئولاً عن إعطاء كل فرد ما دفعه..

مهلاً..كيف قفزت في يدي؟ لا أعرف!

على رسلكم يا قوم...أنا أكره الحساب..و اذا لم  
تصدقوني اسألوا أستاذ صبري أبو حلوة رحمه الله عني  
وسوف يأتيكم بخلاصة القول في قدراتي الحسابية  
الفتاكة، طيب هل رأيتم درجاتي في الهندسة أو الجبر؟  
لكنهم لا يسمعون، كانت العقول ومن قبلها القلوب  
قد تعلقت بما في يدي من فلوس.

بدأت عملية التوزيع، ووقفوا أمامي كما وقف أبناء

سي السيد أمامه يطلبون المصروف لكنهم طبعاً لن  
يقبلوا يدي.

طبعاً حدثت الأزمة الاقتصادية العالمية التي طالما  
تحدث عنها مؤرخو اقتصاديات النقل والمواصلات من  
أول التكاتك إلى الطائرات... الجمهور عاوز فكّه!

تبرع أحدهم وأخذ عشرة جنيهات وذهب لكشك  
لمعت أضواءه الخافية من بعيد ثم عاد بخفي حين.

صاروا متململين الباشوات، و لما ضقتُ بالأمر  
وأردت أن أعجل بنهايته فتحت شنطتي وطلعت فلوس  
من جيب الفكة المخصص للطوارئ و بدأت أوزع  
الأعطيات فابتهجوا.... وزعتُ الفلوس عليهم ومن ثم  
قفزوا في سيارات وقفت لهم.

ثم أنني اكتشفت أنه - و للعجب - ما زال في يدي  
أموال! يا ترى من الذي غادر بدون أن يأخذ ماله؟ ولما  
لم يطالب أحد بشيء وتمت القسمة في هدوء يبدو  
مريباً الآن.. غريبة جداً!

لم أجد بُداً من أن أتوجه للسائق معلناً وجود باقي  
لم يطالب به أحد.. وفي التواللحظة تحول إلى وجه  
ثعلبي... وسألني عن المبلغ المتبقي ثم خطفه من يدي.

تركته ومشيت وبعد خمس دقائق وأنا ما زلت أعيد  
تقليب الأمر في مخي ومن أخذ ومن لم يأخذ.

انتابتي نوبة من الضحك... اكتشفت أنني من أجل  
أن أحل أزمة الفكة أعطيتهم مالي الخاص ولم أسترده...  
هل ألومهم أم ألوم الثعلب أم ألوم سذاجتي...  
قلت لهم إنكم لم تروا درجاتي في الحساب.. لو حدث  
لما أعطيتموني هذه المهمة... شكرا لكم..

الآن أقف على جانب الطريق أحاول أن أستوقف  
سيارة لأركب... أعرف أنني سأكتم القصة داخلي لفترة  
لن تطول.. ثم فجأة في لحظة سلام داخلي في قعدة  
مع الرفاق حول كوب شاي ستنطبع ابتسامة بلهاء  
على وجهي وستنفلت مني الحكاية رغما عني... أصل  
«عندي حكايات صعب أخبها!» وسأنطلق:

هاحكي لكم حنة موقف حصل معايا يا رجاله...

## حافي



للمرة الثانية في أسبوع واحد وللمرة الخامسة في نفس الشهر أرى نفس الحُلم - بل الكابوس الذي يطاردني مطاردة الذئب للغنم. أصحو مفزوعاً كمن سقط بنطلونه وهو متوجه للمنصة لإلقاء كلمة في الأمم المتحدة أو من قفز في وجهه فأريأئس وهو يحاول أن «يزنقه» في ركن.. نفس الذعر والخضة، غُصة في الحلق وصدمة في القلب.

«أفز» من النوم مرة واحدة فتؤلمني الفقرة الخامسة وأعلم بأن الألم سيستمر لأيام مقبلة فيجعلني أندم على تلك الحركة وإن كانت لاإرادية، بالرغم من ذلك أريد أن أطمئن فأثني جذعي وتذهب يدي نحو قدمي؛ أبحث عن قلبي الذي وقع فيها فلا أجد سوى جلد مشعر لقدم كبيرة.. متى كبرت هكذا؟

السكون تقطعه أنفاس مضطربة تصدر من جوارى، جسد ينام علي يساري يتقلب، أحدق باستغراب فيه

و أميل عليه.. يخفي الشعر الطويل الوجه؛ إذا كانت هذه أمي فأين أبي؟ ثم كطائر محلق يعود إلى عشه بعد توهة تعود إليّ الذاكرة! فأعرف تلك التي تنام وادعة بجواري منذ أزمان.

أتأمل فيما حولي؛ في الظلام تبدو الأشياء مشوشة.. جبل أسود يُغلق الطريق أمامي متعملاً في العتمة.. وشجرة ساكنة على أقصي اليسار.. أين أنا؟ بقدرة قادر يتحول الجبل إلى دولاب والشجرة إلى شماعة ملابس.. الفارق تصنعه النظارة! يعود إليّ وإلى أنفاسي تدريجياً الهدوء.

أعود إلى التوقع على جنبي الأيمن في وضعية الجنين واجعل من يدي وسادة لي، أود أن التجأ إلى حضن «هناء» كطفل مفزوع ولكني سأزعجها حتماً وسأوقظها.

لماذا هذا الحُلم بالذات؛ أرى نفسي طفلاً بمريلة سَمني في طريقي إلى أداء الامتحان وأنا أسبق الريح لألحق بالميعاد ثم فجأة أكتشف أنني بدون حذاء ويسقط قلبي في قدمي الحافية، يختفي كل شيء من حولي و أصبح نقطة في فضاء ساكن لا نهائي ليس فيه سوى جرس المدرسة الآتي من بعيد.. أكثر من ذلك لا أتذكر..

لا أعرف إذا كنت رجعت لبيتنا لألبس الحذاء أم أني أكملت عدوي الحافي ولحقت الامتحان.. لا أعرف.. أفني هذا العمر يا ربي! أحلم بالمدرسة والامتحان.. عجيبة.

أضغاث أحلام؛ ربما ثمرة من حصاد العقل الباطن بذرتها فكرة ما أو موقف عابر لا أذكره. لكن أن يطاردني الحلم فهذا مفرع... أهي إشارة ما وأنا لا أفصح في التقاط المغزى؟ لا بد أنها فضيحة علنية.. خذلان... شيء من هذا القبيل. يجب أن أبحث في تفسير ابن سيرين.. لا.. ماذا اذا كانت مصيبة من المصائب؟... سوف يزداد توتري وأنا لن أتحمل ذلك، لكن المشكلة الحالية هي ماذا لو نمت وطارد الثعلب الأرنب مرة أخرى!

في الصباح توقظني هناء وقد جاوزت الساعة الثامنة كما تقول، وفي تلك المنطقة اللذيذة التي تفصل بين اليقظة والنوم أسمعها متعجبة من استغراقي في النوم حتى الآن رغم إنها- كما تزعم- أيقظتني مرتين سابقا.

بينما يدي اليسرى تُمسّد فقراتي الموجوعة يخرج صوتي الواهي من تحت الوسادة التي تغطي رأسي وأرد باني سوف أبلغ إجازة عارضة.. عاوز أنا م... جعان نوم.

في طريقها إلى غرفة الأولاد تقف قبالي عند الباب ثم تنظر نحوي مندهشة وتخبط على صدرها بعفوية:

-أنت بتمشي و أنت نايم.. إيه الجزمة اللي أنت نايم  
ولا بسها دي.. أنت خرجت و أنا نايمة.. أوعى تكون نايم  
بالبدلة والكر افته كمان!

جزمة؟ أحرك قدمي فأشعر بها ثقيلة.. آه.. أشد  
اللحاف على رأسي وأسحب قدمي داخله فاختمي:  
هه.. جزمة.. جزمة إيه.. مش فاكر. اقفلي أنت الشباك  
قبل ما تخرجي من الأوضة.

تثرثر وتغمغم وصوتها يأتي من بعيد.

اخلع النظارة التي يبدو أنني قد نمت مرتديها، أنا لا  
أذكر كيف لبست الحذاء ولكن على كل حال لن يحدث  
أن اكتشف أنني حافي وأنا ذاهب إلى الامتحان.

## رؤية مزدوجة

### «U TURN»

يد تهزني فتنتشلي من الأعماق وأصعد تدريجيا إلى  
سطح اليقظة بعد الغوص في قيعان بحار مجهولة،  
يرافق اليد صوت ناعم - مثل «الغُرْبَة» التي أحياها -  
لكنها نعومة معجونة بحزم مصطنع:

-يللا يا ميمي أنت هتتأخر كده على الامتحان،  
«عمر» هيعدي كمان شوية وتمشوا سوا.

أتمطع و أفرد يدي و أقوم متناقلا أخيرا، ولكني أقف  
في وسط الغرفة كمن تذكر شيئاً فجأة والتفت لها:

-أما يا ماما حته حلم... كبرت و اتجوزت واحدة  
اسمها هناء وعندي عيال كمان.. بس مش فاكر البقية!  
-صلاة النبي أحسن... وكنت بتضرب هناء دي ولا  
إيه؛ ده أنت طول الليل بترفس في زي الجحش، وعمال  
تقول أنا لابس الجزمة اهه!

صوت عمر «المسررع» يأتي من الشباك يستعجلني  
فألبس الجزمة وبينما أناضل من أجل ربط الفيونكة  
أرفع وجهي وأسأل ماما:

-هو احنا ليه مبنفتكرش الأحلام يا ماما!

٧	١	انفلات
١٥	٢	راعي غنم
١٧	٣	يا أهلا بالوطن
٢٧	٤	هدية العنق الرخامية
٣١	٥	توتوبني Tutto Bene
٣٩	٦	ميكروسكوب
٤٥	٧	مسألة كلامية
٥١	٨	تويوتا كرسيدا
٥٥	٩	عيادا
٦١	١٠	القبطان فؤاداموس
٦٩	١١	هاحكي لكم حته موقف حصل معايا يا رجاله!
٧٥	١٢	حافي-رؤية مزدوجة